قالت العرب

رمت الفؤادَ مليحة عذراءُ
بسِهام لحظ ما لهنّ دواءُ
مَرّت أوَانَ العيدِ بَيْنَ نَوَاهد
مثل الشمُوسَ لحَاظُهنّ ظِبَاءُ
فاغتالني سقمَى الذي في بَأطني
أخفيتُه فأذاعه الإخفاءُ
(عنترة بن شداد)

المشهد
العدد 337 - السنة الثالثة عشرة - الأحد 10 نوفمبر 2024 م الموافق 8 جمادى الأولى 1446 هـ

نموذج المقاومة فى مواجهة خطاب التطبيع والأزمة

التكيف .. تجميل لـ فقه التعايش مع الهزيمة

ما يميز الخطاب العربى الرسمى أنه خطاب ينحو إلى التكيف والتعايش مع الهزائم والاحتلالات المختلفة. إنه خطاب من السعة والمرونة والاحتيال بحيث يستطيع أن يقلب الحقائق ويزور الوقائع، ما يدفع إلى القول إن الخطاب المتكيف عادة هو خطاب كاذب ومخادع، لا يقرأ الواقع من جهة ولا يفسره ولا يحلله من جهة أخرى، لذا فإن الخطاب المتكيف عادة ما يكون تلفيقياً وتوفيقياً بطريقة مثيرة للشفقة أو الضحك أو البكاء أو كل هذا الأمور مجتمعة. يظهر التلفيق فى هذا الخطاب من خلال تقديم نماذج متعددة المرجعيات ومتناقضة الأيدلوجيات، إلى درجة أن هذا الخطاب يحتمل كل شيء فى ذات الوقت.

قطاع غزة يُمحى عن الوجود والقدس تهوّد بوتيرة سريعة إلى درجة قد تتحول فيها إلى سبته أو الاسكندرون

من العجيب أن مثل هذه النماذج تقدم إلى الجماهير دون إحساس بالذنب أو الخطأ أو تبكيت الضمير، ومن العجب أيضا أن يقوم على تقديمها رجل الفكر والدين والإعلام ورجل السياسة، لتشكيل فضاء سياسى ثقافى ناظم يكتسب شرعية بفعل قوة الروافع والمضخات الرسمية، ومن يتطوع معها إغواءً واغراءً ورغبة منها فى الاندماج والكسب.

وإذا كان التلفيق صفة الخطاب فإنه ينسحب على كل أمر آخر، فالتعليم يتراوح بين التلقين والتقليد وادعاء الإبداع والبحث، وتخطيط المدينة يضطرب ما بين العشوائية والتخطيط، وحتى العلاقة مع الجماهير، حيث تغيب الرؤية النهائية للتعامل مع الجمهور، فالديمقراطية إدعاء براق يستخدم حسب مقاييس ومعايير تكرس القمع، أو يعاد إنتاجها بطريقة غاية فى الخداع والاحتيال، بحيث تتحول الديموقراطية - كمفهوم غربى له عراقة وتقاليد - إلى سلوك سياسى مخادع يتم من خلاله تثبيت مراكز القوى إياها، وهكذا يتحول مفهوم الديموقراطية إلى سيف يذبح حامله. الديموقراطية بالذات هى الوصفة الناجعة من أجل التفتيت والتفكيك بدلاً من ان تكون مفهوماً وأداة للاستقرار السياسى والاجتماعي، ذلك أن تلفيق المفهوم يؤدى إلى تلفيق التطبيق وبالتالى تلفيق النتائج.

ويظهر التوثيق فى خطابنا الرسمى عندما يساوى بين الأخطاء، ويمارس عملية إيهام حقيقية بحيث تنتفى الفروق بين الأفعال وبين الرجال وبين الأفكار، وعندما تتم التسويات على قاعدة عمومية غامضة، وحين تغيب المحاسبة والمكاشفة، وحين تحل المشكلات بطريقة عشائرية يستوى فيها الخطأ والصواب إلى درجة أن يتساوى الدم بفنجان القهوة، وهو أمر يتكرر فى السياسة، حيث تتحول الأوطان إلى عقارات وليست رمز كرامة وعزّة.

الخطاب التوفيقى هو خطاب مضحك وبائس فى ذات الوقت، لأنه لا يبحث عن الإقناع بقدر رغبته فى السلامة والتسويات التى لا تصح، هذا الخطاب لا يبحث عن الشرعية بقدر بحثه عن الإجماع المصطنع مهما كلف الثمن.

إن الخطاب المتعايش والمتكيف مع الهزيمة مستعيناً فى ذلك بالتوفيق والتلفيق، هو خطاب أزمة بامتياز، هى أزمة التعامل مع الواقع، أزمة السؤال والتحدي، أزمة الهوية، أزمة الشرعية، وأزمة التنمية.

هو خطاب أزمة لأنه خطاب تعايش مع الهزيمة، وهو خطاب تعايش مع الهزيمة لأنه خطاب أزمة، ولا يمكن تجاوز كل ذلك إلا بتجاوز الأزمة عن طريق رفض الهزيمة.

إن صنع النصر والاستعداد له والتهيؤ لأسبابه وإنضاج ظروفه وشروطه هى عملية طويلة ومضنية ومجهدة، ولأنها كذلك، فإنها كفيلة بأن تفرز الخبيث من الطيب، الحقيقى من الزائف، عملية النصر بحد ذاتها عملية تنظف وتطهر وترمم، عملية النصر عملية لا تلفيقية ولا توفيقية، النصر انحياز حقيقى باتجاه مكان القوة الأصلية ومصادر الطاقة التى عادة ما تغيب فى خطاب الأزمة أو تُشوه. وخطاب النصر واضح وبسيط، حتى شعاراته بسيطة وواضحة ومتواضعة، لا تقفز عن الواقع ولكنها تحلم بتغييره، ولا تزور الواقع ولكنها تطلب الانقلاب عليه.

حتى لغة النصر، فهى لغة دقيقة لأنها تعرف ثقل الأثمان التى دفعت من أجل النصر، وهى لغة متواضعة لأنها تعرف معنى الوحدة وصعوبة العمل الذى تم إنجازه. وعلى عكس لغة التلفيق والتوفيق، التى فيها من الادعاء ما فيها، فإن لغة النصر مختصرة وتذهب مباشرة إلى مقاصدها وتسمى الأشياء باسمائها.

ونقول هذا الكلام كله، من أجل أن نقول إن خطابنا الرسمى الذى يتعايش ويتكيف مع الهزيمة، يستبعد كلياً خيار تحرير القدس، أليس هذا غريبا؟! أليس عدم الكلام عن التحرير تعايشاً مع الهزيمة وتكيفاً معها وقبولاً لها؟!

عندما نتحدث بلغة لا نؤمن بها ولا نصدقها، تتحول هذه اللغة إلى خيوط مرنة ولكنها غليظة وطويلة، حتى تكفى لتأليف حبكات ينقصها الصدق والصراحة والجرأة. وعندما لا نتحدث عن تحرير القدس التى تؤلف جوهر إيماننا فإننا نقوم بخيانة ما أو ما له طعم الخيانة، وعندما نقوم بتجميل الهزيمة أو التعايش معها، فإننا نخون حتى لغتنا.

يجب الاعتراف بأننا مهزومون، وهو اعتراف لا يدعو إلى جلد الذات بقدر استنهاضها، ولا يدعو إلى الإحباط بقدر الدعوة إلى فتح العينين إلى آخرهما لقراءة الواقع كما هو لا كما نريد أو كما نحلم.

إن الاعتراف بالهزيمة خطوة أولى من خطوات الاعتراف بالواقع، فأوضاعنا ليست بخير، ومجتمعاتنا ليست بخير، وحكوماتنا ليست بخير، وثرواتنا ليست بخير.

المشكلة هنا أن هذا الكلام يكاد يكون مكروراً ومبتذلاً، ويعرفه القاصى والداني، كلنا يعرف أن فلسطين محتلة وتباد، دون أن يرمش للعالم جفن! وان أراضى عربية كثيرة أخرى تعانى احتلالاً بشعاً ومدمّراً، ويكاد بعض هذه الاحتلالات يتحول إلى واقع لا يمكن حتى نقاشه، وهذا ما يؤلم على المستوى الشخصى إلى أبعد الحدود. قطاع غزة يُمحى عن الوجود، والقدس تهوّد بوتيرة سريعة إلى درجة قد تتحول فيها الأوضاع إلى الحال الذى تعيشه سبته أو الاسكندرون.

لا نريد فراديس مفقودة أخرى، ولا نريد أندلساً جديدة، لا نريد ان تكون الأمة التى تتعود الصفعات، لأن العادة والتعود تطبيع من نوع آخر. لا نريد أن نكون الأمة التى ضحكت من جهلها الأمم. أقول ذلك بدواعى الفخر الدينى والقومي، وأقول ذلك باعتبار أن لنا رسالة حملناها ونشرناها وكانت خيراً على كل البشرية. وبعيداً عن استعراض تاريخى لعالمنا العربى منذ بدايات القرن الماضى وحتى يومنا، فإن أسباب هزائمنا المختلفة فى الحرب والفكر والتنمية وبناء مجتمعات صحية، لم تتجاوز سببين، أن عدونا قوى ومستعد وشره وصاحب خبرة طويلة، وأننا لم نكن على مستوى المواجهة، لم تكن هزيمتنا هزيمة طبقة أو فكر أو شخص أو جهة أو حزب أو فصيل، كانت هزيمة أمة كاملة، بالمناسبة، فإن أيامنا هذه، تشهد احتلالات وحصارات وهجومات وقصفا وهولوكست مفتوحا واستباحة لغير عاصمة من العواصم العربية، ولا نتحدث هنا عن القدس فقط، وبالمناسبة أيضاً، فإن عالمنا العربى فى أيامنا هذه يشهد أسوأ فترات هزائمه، فالهزيمة وصلت إلى أن تسلب حتى إرادة الرغبة فى الاحتجاج أو الاستنكار أو الانفكاك من هذا الوضع! وأقول أسوأ فترات هزائمه لأن بعضنا صار يحارب بعضنا الأخر من أجل عدونا جميعاً، أى إننا وصلنا إلى وضع صرنا نموّل فيه حروب عدونا. وهذا من العجب العجاب.

إن تجاوز خطاب الأزمة لا بد له من مثال أو نموذج حى يستطيع ملء الفراغات وتقديم محتوى نظرى وعملى للفكرة. كل الأفكار عظيمة دون تطبيق، وكل الأفكار قابلة للنقد عند تطبيقها، وبسبب الأزمة وما تجر من خيبات وعثرات فقد كان لنا ثلاثة نماذج قدم كل منها محاولة ما لتجاوز الأزمة.

المحتل بلغ من الوقاحة والصلف والغطرسة أن يفرض معادلة مذلة تقول التطبيع مقابل لا شيء

تجاوز خطاب الأزمة له ثلاثة نماذج: عبدالناصر وصدام حسين وياسر عرفات ورابعها هو المقاومة

النموذج الأول كان جمال عبد الناصر، الذى تهيأت له من الظروف ما لم يتهيأ لأى قائد عربى فى العصر الحديث، إذ تحول عبد الناصر إلى رمز أسطوري، وعلقت عليه الآمال والأحلام، ومستفيداً من الظروف الدولية والمزاج الشعبى فى العالم الثالث على الأقل، فإن عبد الناصر حاول أن يكون الحاضنة لثورات العالم العربى وما جاوره وصولاً إلى كيانية موحدة بشكل ما. وبغض النظر عن جدلنا مع الناصرية واخطائها وانجازاتها إلا أن هذه التجربة تم ضربها ومن ثم حصارها وأخيراً تجفيفها. نحن هنا لا نريد تقييم التجارب والنماذج التى نقدمها، لأن هدفنا هو مصير تلك النماذج والمحاولات.

النموذج الثانى كان صدام حسين، الذى أراد أن يصنع تنمية بالحديد والنار، وأراد أن يقدم تجسيداً حياً لنظرية العادل المستبد، والذى أراد أن يتقدم إلى الجمهور كأنه صلاح الدين ويسمارك فى آن معاً، ولكن هذه التجربة أو هذا النموذج تم استخدامه وحصاره وضربه ومن ثم القضاء عليه.

النموذج الثالث هو ياسر عرفات، الذى استطاع أن يؤسس لثورة اكتسحت العالم العربى فى السبعينيات، ياسر عرفات الذى أراد أن يكون رمز الثوار ونهضة الشعوب، والذى أراد أن يكون ضمير العالم بعذابات شعبه، لم يحتمله الغرب أيضاً رغم كل شيء، فحاصره ومن ثم قتله.

هذه نماذج ثلاثة تم ضربها بالقوة من قبل الغرب أو أدواته. هذا يعنى أن هذه النماذج الثلاثة وبغض النظر عن حوارنا معها أو جدلنا حولها إلا أنها نماذج أرادت أن تتجاوز واقعها وسقوفها وشروطها. هل كانت مغامرة أكثر من اللازم؟ هل كانت حالمة أكثر من اللازم؟! هل كانت مخدوعة أكثر من اللازم؟!

مهما كانت الإجابة، إلا أن الغرب لم يحتمل هذه النماذج حتى لو هادنت أو دخلت تسويات أو حتى تواطأت على نحو ما.

وبالاستقراء ليس إلا، فإننا نتوقع أن يكون النموذج الرابع مختلفاً عن حديدية صدام، وتوفيقية عبد الناصر، ومرونة عرفات، ونتوقع أن يواجه هذا النموذج صعوبات أكثر، لأن الغرب سيكون أكثر تنبهاً ويقظة، وسيواجه هذا النموذج منظمات غير حكومية لا تخضع للدولة، وخطاب تطبيع يقبل الهزيمة ويستغلها، وحكومات تخون شعوبها، واحتلالات مباشرة كثيرة، أكثر من الحالية.

نموذجنا الرابع هو "المقاومة" التى لن تتعايش مع الهزيمة لأن العيش مع الهزيمة موت محقق ومخزٍ، ولأن التكيف الذى يسمى تطبيعاً هو أكثر رداءة من الاستسلام، لأن الاستسلام لا يفترض القبول بالمحتل، أما التطبيع أو التكيف فهو القبول بالمحتل وجوداً ورواية ومصالح وأوهام.

نموذجنا الرابع المتفجّر الذى عصف بالعالَم سيرفض لغة الغموض والمرونة والفصاحة، لأنه يستعمل لغة بسيطة وواضحة وضوح الشمس، يقول فيها إن الاحتلال يجب أن ينتهى وان التعايش معه أو التكيف له، إنما هو إطالة لعمره ومشاركة فى أبقائه.

قد تطول المدة حتى يتحقق هذا النموذج أو يصل إلى أهدافه، لأن الغرب لم يعد يكتفى بإدارة الأمور من وراء البحار، الغرب صار يأتى إلى هنا، ويتواجد بين ظهرانينا، ولم يعد يطلب وكلاء سريين، بل صار من الوقاحة بحيث يطلب وكلاء علنيين يقبضون أجرتهم أمام كل الناس وأمام عدسات الكاميرا. لهذا قد تطول المدة التى ينتصر فيها النموذج الرابع المختلف.

ونقول تطبيع، هذا اصطلاح غير دقيق للقبول بالاستسلام، التطبيع هو التكيف مع الاحتلال ومع مصالح الاحتلال ومع حلم الاحتلال المتعدد والمختلف بتسميات كثيرة. عندما نقول تطبيع، فإننا عملياً نقول الرضا والخضوع والحياة تحت سقف القوى المحتل.

التطبيع هو مطلب القوى وليس مطلب الضعيف. ولهذا عادة ما يحشر الضعيف فى زاوية الدفاع عن النفس وشرح الدوافع والأسباب، وبهذا يتحول الضعيف إلى ضحية لا يصدقها أحد ولا يحترمها أحد. خطاب الضحية الضعيفة خطاب أزمة حقيقية فهو لا يستطيع أن يقنع حتى نفسه، ولهذا كان التطبيع مطلب القوى لان هذا المطلب يتضمن ضمن أشياء أخرى قبول شرط القوى ومطالبه. والتطبيع هنا قبول رواية الآخر كما قيل، فإن رواية الآخر عن نفسه أرفع من أن تكون مطلب القوى هنا للضعيف، بل، وببساطة، فإن التطبيع المطلوب هو عدم الثورة وعدم الاحتجاج والقبول بالتحول إلى مجرد كائن حي، كل فضيلته أنه يخرس أمام المذابح ويستهلك الطعام ويخرجه.

خطاب الأزمة يقبل التطبيع ويرفضه، ذلك أن خطاب الأزمة يتجاور فيه كل شيء مع كل شيء آخر، وهذا من أشد الأمراض وأسوئها. والمحتل الذى يتابع ويدرس ويبحث، يعرف أننا فى لحظات سوء حقيقي، ولهذا، فقد بلغ من الوقاحة والصلف والغطرسة أن يفرض معادلة مذلة تقول التطبيع مقابل لا شيء. إلى هنا نصل، أن يقبض المحتل الثمن مقدماً من أجل أن يعد بشيء قد لا يحصل لأى سبب. التطبيع بمعنى أسوأ من الاستسلام، من أجل أن يتوقف عن عمل غير قانونى وغير شرعي. إلى هنا يصل بنا خطاب الأزمة. والى هنا يصل بنا غياب النماذج.

بقلم: المتوكل طه

خسارة هاريس الانتخابات:

تحليل للأسباب والعوامل المؤثرة

إلهام عبدالعال

شهدت الانتخابات الأمريكية الأخيرة خسارة كبيرة لنائبة الرئيس كامالا هاريس، وهى الخسارة التى أثارت تساؤلات عدة حول الأسباب والعوامل التى أدت إلى هذه النتيجة. وبالنظر إلى مسار الحملة الانتخابية، يمكن تحديد عدة أسباب رئيسية ساهمت فى هذه الخسارة، بما فى ذلك الأوضاع الاقتصادية، القوانين المثيرة للجدل، والأبعاد العقائدية والثقافية التى لعبت دورًا كبيرًا فى تشكيل الرأى العام.

أولا : الأزمة الاقتصادية وتأثيرها على الشعب الأمريكي. أحد الأسباب الأساسية التى أدت إلى خسارة هاريس هو الوضع الاقتصادى الصعب الذى مر به الشعب الأمريكى خلال فترة حكم الإدارة الديمقراطية. شهدت الولايات المتحدة زيادة ملحوظة فى الأسعار، وخاصة فى أسعار الوقود والسلع الأساسية، مما أثر بشكل كبير على القدرة الشرائية للمواطنين. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك زيادات فى الضرائب، التى أقرت لدعم سياسات الحكومة فى الخارج، بما فى ذلك تمويل الحروب والصراعات الدولية. هذا الوضع الاقتصادى الضاغط جعل العديد من الأمريكيين يشعرون بأن حكومتهم تركز على القضايا الدولية على حساب معاناتهم الداخلية، مما دفعهم للتصويت ضد الإدارة الحالية.

ثانيا: القوانين المثيرة للجدل حول حقوق المثليين والتحويل الجنسى للأطفال. أحد القضايا الأخرى التى أثارت جدلا واسعًا فى الانتخابات هى السياسات المتعلقة بحقوق المثليين والموافقة على عمليات التحويل الجنسى للأطفال. فى فترة حكم الإدارة الحالية، تم تمرير قوانين توسع حقوق الأقليات الجنسية بشكل واسع، بما فى ذلك السماح للأطفال الذين يعانون من اضطرابات هوية جنسية بالتحول دون موافقة الأهل. هذا التشريع أثار معارضة شديدة من عدة جهات، بما فى ذلك العديد من الجماعات الدينية والمجتمعية. الحزب الجمهوري، وكذلك عدد كبير من الناشطين والمحافظين، نظموا العديد من المظاهرات الرافضة لهذه السياسات. شخصيًا، كنت وزوجى من المشاركين فى هذه الوقفات الاحتجاجية، التى كانت تعبيرًا عن قلقنا من تأثير هذه السياسات على قيم المجتمع الأمريكى التقليدية. هذه القضية، التى تعتبر حساسة بالنسبة للكثير من العائلات الأمريكية، كانت من بين العوامل التى أدت إلى تراجع الدعم لهاريس، حيث وجد اصحاب الفكر الداعم للزواج التقليدى و الحفاظ على كيان الاسرة و علاقة الوالدين بالأبناء خطرا فى وصول هاريس للحكم فى حين يتبنى تلك القيم حزب المحافظين و دونالد ترامب.

ثالثا: الرفض العقائدى لتولى النساء المناصب القيادية. عامل آخر أسهم فى خسارة هاريس هو الرفض العقائدى من قبل بعض الأفراد والجماعات الدينية التى ترفض تولى النساء المناصب القيادية. هذا الموقف يظهر بشكل خاص فى بعض الأوساط التى تنتمى إلى ديانات معينة، مثل اليهودية، حيث لا تزال هناك آراء تحظر تولى النساء المناصب العليا فى الدولة. بعض هؤلاء الأفراد يرفضون قيام دولة إسرائيل نفسها، ويتظاهرون ضد الممارسات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة. قد يكون لهذا الرفض تأثير على جزء من الرأى العام الأمريكى الذى كان ينظر إلى هاريس كرمز للقيادة النسائية. رغم أن هذا الرأى يمثل فئة صغيرة من المجتمع، إلا أن تأثيره كان واضحًا فى بعض المناطق.

و هذا يعنى أن خسارة كامالا هاريس فى الانتخابات لم تكن نتيجة سبب واحد، بل هى نتاج مجموعة من العوامل التى تراوحت بين القضايا الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية. الأوضاع الاقتصادية الصعبة، والسياسات المثيرة للجدل حول حقوق الأقليات، والمواقف العقائدية الرافضة لوجود امرأة فى منصب القيادة، كانت جميعها عوامل ساهمت فى تراجع الدعم لها. هذه الخسارة تعكس بشكل عام مدى تعقد المشهد السياسى فى الولايات المتحدة، حيث تتداخل القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتشكل نتائج الانتخابات.